

# مقاصد الحج في الإسلام

سالم جمال الهنداوي



# مقاصد الحج في الإسلام

سالم جمال الهنداوي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزًا وحصنًا، وجعل البيت العتيق مثابةً للناس وأمنًا، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشریفًا وتحصينًا ومنًا، وجعل زيارته والطواف به حجابًا بين العبد وبين العذاب ومجنًا، والصلاة على محمدٍ نبي الرحمة وسيد الأمة، وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً.

### وبعد:

فللحج في الإسلام حكمٌ عظيمٌ ومقاصدٌ عليا يجب أن يتبته المسلم إليها ليعي حكمة مشروعية الحج، فيزداد بها فقهاً في دينه، وإقبالاً على الله تعالى، ورغبة في أداء هذه المناسك.

## ومن جملة هذه الحكم والمقاصد:

### ١- إظهار العبودية لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فهذه الآية الكريمة تُوجب على المستطيع الذي اكتملت فيه شروط وجوب الحج أداء ركن الحج، ومن مقتضيات العبودية أن يكون العبد أمام هذا الأمر الإلهي طائعاً مخبتاً لا يسعه إلا أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فاستجابة العبد ومسارعته لأداء فريضة الحج دليل على صدقه، ودليل على عبودية لله عز وجل.

«وفي الحج إظهار العبودية؛ لأن إظهار العبودية هو إظهار التذلل للمعبود، وفي الحج ذلك؛ لأن الحاج في حال إحرامه يظهر الشعث، ويرفض أسباب التزين، والارتفاق، ويتصور بصورة عبد سخط عليه مولاه، فيتعرض بسوء حاله لعطف مولاه، ومرحمته إياه، وفي حال وقوفه بعرفة بمنزلة عبد عصى مولاه فوقف بين يديه

متضرعًا حامدًا له مثنيًا عليه مستغفرًا لزلزلاته مستقبلاً لعثراته،  
وبالطواف حول البيت يلازم المكان المنسوب إلى ربه بمنزلة عبد  
معتكف على باب مولاه لائذٍ بجنابه<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (١١٨/٢).

## ٢- تحقيق التقوى:

قال تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فمن ثمرات الحج تحقيق التقوى؛ إذ ينال العبد بها أعلى الدرجات، والفوز برضوان الله تعالى.

### ٣- ذكر الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]

«من باب ذكر الله تعالى: رؤية شعائر الله وتعظيمها، فإنها إذا رؤيت ذكر الله كما يذكر الملزوم اللازم لاسيما عند التزام هيات تعظيمه وقيود وحدود تنبه النفس تنبيها عظيما»<sup>(٢)</sup>.

وذكر الله تعالى وصل دائم بينك وبين الله، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب

(٢) انظر: حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي (١/١٤٢).

مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ  
بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً».

قال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه  
فرايت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته، وكنت  
جليسه ومحادثه وأنيسه.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء  
إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها.



#### ٤- شكر النعمة:

وذلك لأن العبادات بعضها بدنية وبعضها مالية، والحج عبادة لا تقوم إلا بالبدن والمال؛ ولهذا لا يجب إلا عند وجود المال وصحة البدن، فكان فيه شكر النعمتين، وشكر النعمة ليس إلا استعمالها في طاعة المنعم، وشكر النعمة واجب عقلاً وشرعاً<sup>(٣)</sup>.

إن النعم التي ينعم فيها العباد ما هي فضلٌ من الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ونعمه تعالى لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

فإذا أيقن العبد ذلك تمام اليقين توجه بكليته وبما من الله تعالى عليه من نعم إلى شكر المنعم سبحانه، وشكر المنعم يتمثل في استخدام هذه النعم في طاعته ومرضاته.

(٣) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (٢/١١٨، ١١٩).

ولاشك أن من يخرج حاجًا يكون قد أتى بحق النعمة، وشكر  
المنعم سبحانه الذي رزقه المال والعافية، قال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ  
إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

## ٥- غفران الذنوب:

من رحمة الله تعالى بعباده مغفرته لذنوب، قال تعالى وصفًا ذاته العلية: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وتتجسد المغفرة العظمية في فريضة الحج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، وفي لفظٍ: «مَنْ آتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، أي: رجع مشابهاً لنفسه في البراء من الذنوب في يوم ولدته أمه<sup>(٤)</sup>.

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (١٣٦/٦).

## ٦- دخول الجنة:

لقد جعل الله تعالى الدنيا ميدان يتنافس فيها العباد لنيل الجزاء الأوفى عند الله تعالى، ويتمثل هذا الفضل في دخول الجنة، تلكم الدار الطيبة الباقية التي أعدها الحق سبحانه وتعالى للصالحين من عباده، الذين قاموا لله تعالى بحق العبودية على أكمل وجه. وعندما يخرج العبد قاصدًا البيت الحرام لأداء فريضة الحج، وكان حجه مبرورًا ينال بحجه المبرور جنة الرحمن سبحانه وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «وَالْحُجُّ الْمُبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ». فما أعظمها من فريضة، وما أكرمه من جزاءٍ من الرحمن سبحانه وتعالى.

## ٧- تربية المسلم على تحمل المتاعب والمشقات:

لقد خلق الله تعالى العباد لغاية عظمتها ألا وهي عبادته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثم امتحن الله العباد ليبلوهم أيهم أحسن عملاً: قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].  
والعبادة تكليف، تحتاج إلى جهدٍ وعمل، وربما كانت شاقة كالجهاد في سبيل الله تعالى.

فاللحج يربي في المسلم العزيمة والإرادة والقدرة على تحمل المشقات لنيل رضا الله تعالى؛ إذ يخرج الحاج مسافراً تاركاً أهله وبلده في سفرٍ طويلٍ شاق.

## ٨-التعارف:

يجتمع الحجاج في موسم الحج من جميع أقطار الدنيا، مسلمون  
اختلفت أجناسهم ولغاتهم وأعراقهم، جمعهم الإسلام، وربط  
بينهم برباط الأخوة، فيتعارفون ويتآلفون.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

## ٩- الاعتزاز بدين الإسلام:

تجد في موسم الحج الآلاف بل الملايين من المسلمين قد اجتمعوا في مكانٍ واحد، يعبدون ربًّا واحدًا، ويتبعون نبيًّا واحدًا، ويتجهون لقبلةٍ واحدة.

فتتولد العزة في قلبك بدين الإسلام، وأنا لسنا قلة، ولسنا ضعفاء، بل إننا أمة قوية ملئت الكون بأسره، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

## ١٠- التكافل والتعاون:

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، ويتمثل ذلك في إطعام الفقراء والضعفاء من الهدي الذي يذبح في موسم الحج، ويوزع على فقراء المسلمين في جميع أقطار العالم. وأيضاً: من صور التكافل: ما تقوم به المؤسسات الخيرية أو الحكومية من تحمل نفقة الحج عن الفقراء وغير القادرين ممن يرغبون في الحج ولا يمتلكون المال لذلك.